الإسلام في الفِكر الدينيّ المسيحيّ

عادل تيودور خوري[1]

ثمّة، بين الإسلام والمسيحيّة، علاقات قُربى وثيقة، وإن باعدت بينهما بعض أيّام التاريخ. ومن المهمّ جدّاً، اليوم، العكوف على تبيان مفصّل للعناصر المشتركة بينهما في الدين والقيَم الأخلاقيّة والقواعد المسلكيّة إذ يمثّلان تجلّياً للبحث عن الخير والحقيقة المدفوعين بنعمة العناية الإلهيّة وبركة الروح القدس، وإن كان للمسيحيّة، لدى الكاتب، فضلٌ حاسم لصلتها المباشرة بالمسيح. ومثل هذه الدراسة ومثل هذا العرض يمهّدان السبيل إلى فهم متبادل أدقّ وأوسع أو إلى تفاهم أكثر شمولاً.

لا يتّسع المجالُ، في هذا العرض المقتضب، لتناول جميع نواحي الموضوع. فإنّ هناك منطلقات مختلفة في تقييم الأديان غير المسيحيّة جملةً وتقييم الإسلامِ خاصّةً، وهناك أحكامٌ مختلفة ومحاولات مختلفة في تحديد مكان الإسلام في النظرة المسيحيّة حول الإطار الشامل لنظام الخلاص الإلهيّ.

غرضي، في هذا المقام، توضيح بعض النقاط المهمّة في مقطعين:

أوّلاً، المنطلق المسيحيّ والتفات اللاهوت المسيحيّ إلى الأديان غير المسيحيّة عامّة، ومنها الإسلام.

ثانياً، عرض مقتضب لموقف الفكر المسيحيّ – الكاثوليكيّ [إذ إنّ هناك بعض الاختلاف عند غيره من المذاهب المسيحيّة الأخرى] من الإسلام في بعض نواحيه.

(١) مدير قسم اللاهوت في جامعة مونستر بألمانيا سابقاً؛ مستشار سابق للكرسي الرسولي في موضوع الحوار الدينيّ؛ متفرغ للتأليف حالياً.

أوّلاً: المنطلق المسيحيّ

أ. معطيات الإنجيل والعهد الجديد

ينطلق الفكر المسيحيّ من أساس ما جاء في الإنجيل والعهد الجديد عن الخلاص ووسائله. أذكر منه بعض الآيات التي توضح النقطة الأساسيّة:

قال السيّد المسيح: «أنا الطريق والحقّ والحياة»[١].

جاء في أعمال الرسل: «ما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسمٌ آخر أُعطي للناس به ينبغي أن نخلص»[٢].

وكتب بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «لأنّ الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، هو الإنسان يسوع المسيح»[٣].

ب. الأديان غير المسيحيّة

١. مرّت أيّامٌ كان الفكرُ المسيحيُّ يحكم فيها على الأديان غير المسيحيّة بأنّها ضلالٌ بجملتِها وبأنّها لا تُقدِّم لأتباعها ما يلزم لنيل خلاص الله.

من هنا انطلق الإصرارُ على التهجّم على هذه الأديان. وقد كان للإسلام نصيبٌ عريض من هذا التيّار لكثرةِ احتكاكِ المسيحيّين بالمسلمين شرقًا وغرباً، ولكثرةِ تصادم الأغراض السياسيّة وتتابع الجولات الحربيّة بين الطرفين.

٢. أورد هنا باختصار – على سبيل المثال – ما جاء في ذلك عند اللاهوتيّين المسيحيّين القدماء في مملكة بيزنطية الشرقيّة الناطقة باليونانيّة وفي الغرب اللاتينيّ.

لقد استعان مهاجمو الإسلام بالنظام الدفاعيّ الذي كان اللاهوت المسيحيّ قد نصبه لردّ اعتراضات خصوم المسيحيّة وتقديم الدليل على صحّة العقيدة المسيحيّة. فرأوا أنّه، إنْ كان الإسلام لا يفي بما تتطلّبه معايير هذه الأنظومة اللاهوتيّة، فعند ذلك يجب اعتباره دينًا باطلاً، وذلك بالنسبة إلى الذي بشّر به وإلى كتابه وإلى عقيدته وشريعته.

(١) إنجيل يوحنّا، ١٤: ٦
(٢) أعمال الرسل، ٥: ١٢.
(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، ٢: ٥.

من هنا أصرّ هؤلاء اللاهوتيّون على أنّ مقارنة بين الإسـلام والمسـيحيّة توضح أنّ هناك فوارق جسـيمة بينهما في العقيدة والأخلاقيّات والعبادات، وأنّ القرآن يناقض الكتاب المقدّس الصـحيح في كثـير مـن نقاطه، ذلك الكتاب الذي أوحى به الله إلى موسـى والأنبياء، وألهمه الرُسُـلَ وكاتبي الأناجيل. وكانت نتيجة عرضهم أنّ الإسلام دينٌ باطل.

٣. في القرن العشرين حدث تحوّلٌ في موقف الفكر المسيحيّ حيال الأديان غير المسيحيّة. وقد حصـل هذا التحوّل تحت تأثير المعارف الجديدة التي وصـل إليها تاريـخ الأديان المقارنة، وتقاربِ الناسـ المتزايد، ممّا أدّى إلى تحسّـس جديد للتقاليد الدينيّة عند الشـعوب المختلفة. وقد عبّر المجمع الفاتيـكاني الثـاني – وهو المرجع الأعلى في الكنيسـة الكاثوليكيّة – بوضـوح عن هذا التحول في وثائقه، ولا سـيّما تصريحه حول علاقة الكنيسـة بالأديان غير المسـيحيّة، وأثبت بذلك ما سبق من جهود العديد من اللاهوتيّين.

١.٣. أهميّة الأديان في حياة الشعوب

- حيويّة الأديان: إنّ الكنائس المسـيحيّة يتّضح لها، بشكلٍ متزايد، المقام الذي تحتلّه الأديان في العـالم والوظيفة التي تقوم بها في حياة الشـعوب. إنّها في معظمهـا تُعتبر قواماً لحياة الجماعة أو مسـهمة في تأمـين هذه الحياة، وبالتالي لها إسـهامها في حياة البشريّة جمعـاء. والأديان في مختلف بلدان العالم (على الأقلّ خارج الدول الغربيّة) تشـهد اليوم نهضة واضحة وتؤدّي نشاطاً فعّالاً. إلى ذلـك، فإنّ قيام البحث عن أبعاد تفـوق الدنيا، وإفاقة البحث عن معنى الحيـاة والمجتمع والتاريخ وعن الأبعاد السامية، إنّ كلّ هذا لدليلٌ واضح على تعلّق الإنسان بالله وحاجته إلى الخلاص وتطلّعه إلى سبل هذا الخلاص.

- نظام قِيَم ووسـيلة خلاص: في هذا الإطار البشريّ تقوم الأديـان بدور لا غنى عنه، إذ إنّها تقدّم مجموعة منتظمة من حقائق خلاصـيّة، توضـح معنى الحياة وغايتها بالنسبة إلى الله وعلاقة الإنسـان به، وبالنسـبة إلى الكون، وإلى الحياة والموت، وإلى تاريخ البشريّة الشامل. وتقدّم الأديان بواسـطة ما تؤكّده لشرح أبعاد الكون والحياة والنشـوء والتاريخ، توجيهًا يسـاعد على الاضطلاع الموفّق بمهامّ الحاضر والاسـتفادة من عبر الماضـي والتخطيط لمسـتقبل مُفْلح. والأديان تقدّم قبل كلّ شـيء جواباً عن السـؤال المتعلّق بالواجبات ومنهج التصرّف الأخلاقيّ والخلاص. فترشد الإنسان إلى السـبيل المؤدّي إلى مصالحته مع نفسه ومع سائر الناس، ومصالحته مع الخليقة والبيئة، ومصالحته مع الله.

٢.٣. الاستعداد للحوار

نظرًا إلى أنّ العالم تضيقُ رقعتُهُ وأنّ الشعوب النائية تزداد قرباً، تسعى الكنائس المسيحيّة أن تنظر من وراء الفوارق الفاصلة إلى ما هو مشترك بين الناس والأديان. وقد عبّر عن ذلك المجمع الفاتيكاني الثاني كما يلي: «وفقاً لمهمّتها في أن تدعم الوحدة والمحبّة بين البشر وبذلك بين الشعوب، تنظر (الكنيسة) إلى ما هو مشترك بين الناس ومن شأنه أن يقودهم إلى الشركة بعضهم مع بعض».

الأديان غير المسيحيّة يجب الاهتمام لها، والتعرّف إليها وتقديرها. إنّ الموقف الأساسيّ للمسيحيّين في لقائهم مع غيرهم من البشر يقوم على الجهد في الاهتمام النصوح لهم ولأديانهم ولأسئلتهم الصحيحة المهمّة في حياتهم. وقد سرد المجمع الفاتيكاني الثاني أهمّ هذه الأسئلة: ما هو الإنسان؟ وما هو معنى حياتنا وغايتها؟ ما هو الخير وما هي الخطيئة؟ ما هو مصدر الألم وما معناه؟ ما هو السبيل إلى السعادة الحقّة؟ ما هو الموت والحساب والثواب بعد الموت؟ وأخيرًا ما هو ذلك السرّ الأخير الذي لا يمكن التعبير عنه، سرّ حياتنا الذي منه نأتي وإليه نصير؟ فإنّ ما هو مشترك بين التراث المسيحيّ والأديان غير المسيحيّة يؤلّف قاعدة كافية لحوار منفتح وتعاون مثمر.

٤. ماذا تغيّر؟

٤.١. خلاص غير المسيحيّين: إنّ الأديان غير المسيحيّة لم يَعُد يُحكَمُ عليها بدون تمييز كضلالٍ وبطلان، ولم تَعد تُرفَض تعاليمها ومقاييسها ونظمها العمليّة بمجملها.

فغير المسيحيّين يمكنهم البلوغ إلى الخلاص، «لأنّ الذي لم يبلغ إلى معرفة حقيقة إنجيل المسيح وكنيسته، وذلك بدون ذنب منه، ولكنّه يبحث عن الله بقلب صادق ويحاول بفعل النعمة أنّ يتمّم عمليّاً إرادتَهُ التي اطّلع عليها في نداء ضميره، فهذا يمكنه أن ينال الخلاص الأبديّ. فإنّ العناية الإلهيّة لا تحرم الأمور الضروريّة للخلاص أولئك الذين لم يبلغوا بعد إلى الاعتراف الصريح بالله، وذلك بدون ذنب منهم، ولكنّهم يجتهدون بفعل النعمة أن يحيوا حياة قويمة».

وهكذا فإنّ سبيل غير المسيحيّين إلى الخلاص يتعلّق بالحقيقة التي يبلغون إليها[١]، وذلك بواسطة دينهم، وبالخير الذي يفعلونه[٢]. وهذه الحقيقة وهذا الخير هما الرباط الذي يربطهم بنعمة الله ويقيم علاقة ما بينهم وبين عمل المسيح الخلاصيّ الذي مات لأجل جميع الناس والذي ارتضى الله أن

(١) راجع الرسالة إلى العبرانيّين، ١١: ٦.
(٢) راجع أعمال الرسل، ١٠: ٣٥؛ الرسالة إلى الرومانيّين، ٢: ١٠؛ رسالة يوحنّا الأولى، ٢: ٢٩.

يصالح به الجميع مع نفسه[١].

٢.٤. تأويــل أدقّ للمطالبة بمطلقيّة الدين المســيحيّ: إنّ القبــول بفاعليّة الأديان غير المســيحيّة بالنســبة إلى الخلاص يدعو إلى فهم مطالبة الدين المســيحيّ بالمطلقيّة فهماً أفضل والتعبير عنه تعبيراً أدقّ. فالمسيحيّة كبنية اجتماعيّة للعقيدة المسيحيّة، وفي شكلها كجماعة قانونيّة معيّنة، لا يمكن اعتبارها مطلقة. فالمطلق في المســيحيّة هو المسيح، وهي النعمة وهو الإيمان، أي إنّه في النهاية ليس هناك مطلق إلّا الله وحده. والمسيح وحده هو «الطريق والحقّ والحياة»[٢]. فالمسيحيّة والكنيسة كبنية قانونيّة وجماعة مؤمنين عليها أن توجّه خطاها بوحي المسيح، وأن تُنقّي ذاتها كي يشرق فيها وجه المســيح إشراقًا يزداد صــفاء. هذا يعني أنّ المسيحيّة في صورتها الحســيّة تبقى جماعة تشوبها الخطيئة. ولكنّها تســعى حتّى تبلغ إلى ملء المســيح في آخر الأزمنة[٣]. هذا مع العلم أنّ المسيحيّة لها فضل حاسم، هو علاقتها الصريحة المباشرة بالمسيح أيْ بالخلاص الذي لا يعلوه خلاص، الذي أنعم الله به على البشر في المســيح. لذلك تعتبر الكنيســة ذاتها، على ما يشــوبها من نقصــان وتعثّر، مقام اكتمال الحقيقة والخير اللذين تتضمّنهما الأديان.

٥. علاقة الدين المسيحيّ بالأديان غير المسيحيّة

هنــاك نظريّــات مختلفة تحاول تحديــد علاقة الدين المســيحيّ بالأديــان غير المســيحيّة، بما فيها الإسلام.

١.٥. المسيحيّة تحكم على الأديان: هذا الحكم يمكن فهمه كقضاء وإدانة. هذه هي المقولة الأساســيّة في اللاهوت المســتند إلى البروتســتانتي كارل بارت. وكان يعتبر الأديان محاولات بشريّة للاســتيلاء على الله، ومن ثمّ ســبلاً خاطئة. فليس هناك تواصــل بين الأديان غير المســيحيّة والدين المسيحيّ، ليس هناك مجال إلّا الارتداد الجذريّ.

ولكنّ الحكم يمكن أن يعني أيضًــا وزنَ الأمور وإبداء الــرأي فيها. هذا متعلّق بالتمييز بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشرّ، وبالبحث عن بذور الكلمة الإلهيّة وآثار حقيقة المسيح، كما أعرب عنه المجمع الفاتيكانيّ الثاني وجعله إحدى مهمّات الكنيسة.

٢.٥. الدين المســيحيّ هو إتمام الأديان كلّها: إنّ البحث عن الحقيقة والخير في الأديان

(١) الرسالة إلى الكولسيّين، ١: ١٩ – ٢٠.
(٢) إنجيل يوحنّا، ١٤: ٦.
(٣) راجع الرسالة إلى الأفسسيّين، ٤: ١٣؛ الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين، ١٣: ٩ – ١٠.

المسيحيّة يرتكز على أنّ هذه الحقائق وهذا الخير من فعل العناية الإلهيّة وشعاع من حقيقة المسيح. وهكذا فإنّها ليست غريبة عن الكنيسة والمسيحيّة. وبالعكس فإنّ الدين المسيحيّ هو نقطة ارتباط الأديان ومقام إتمامها. لأنّ غير المسيحيّين على حدّ قول المجمع الفاتيكاني الثاني «ينتظمون في الاتجاه إلى شعب الله». والكنيسة «تعتبر كلّ ما تجده في الأديان من خير وحقيقة تمهيدًا للإنجيل وهبة المسيح الذي ينير كلّ إنسان». هذا أساس المطالبة والمهمّة بأنّ المسيحيّين «عليهم أن يتدبّروا كلّ ما تحتويه قلوب الناس وعقولهم وشعائر دينهم وثقافتهم من بذور الخير، ويجتهدوا في شفائه والسموّ به وإتمامه»[١].

وإنّ مهمّة المسيحيّة بأن تكون كمال الأديان، تحتوي أيضًا على الإقرار بأنّ المسيحيّة نفسها في مسيرة نحو المعرفة التامّة لحقيقة المسيح الكاملة. فملء قامة المسيح لا يُبلَغ إلّا في آخر الزمان[٢]. وحتّى البلوغ إلى هذا الهدف، على الكنيسة أن تنقاد لعمل الروح القدس «يرشدها إلى الحقيقة كلّها»[٣]. وإنّ أحد سبل الروح القدس هو اللقاء بالتقاليد الدينيّة الأخرى واستعداد الكنيسة للانفتاح تجاه تراث هذه الأديان والطواعيّة لعمل الروح القدس الحرّ في عمله واتّجاهاته.

ثانيًا: الإسلام في النظرة المسيحيّة

نتحوّل الآن إلى تطبيق ما جئنا على ذكره حتّى الآن من معطيات ينطلق منها الفكر المسيحيّ، على الإسلام، ونحاول أن نوضح بطريقة أدقّ موقف المسيحيّة من الدين الإسلاميّ.

أ. القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة

إنّ حجم القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة أكبر ممّا يظنّ البعض. ونوعيّة هذه القيَم المشتركة أفضل ممّا يتوهّمُ من لا يملك إلّا معرفة ضئيلة لما ورد في مصادر الوحي عند الدينين، أي الكتاب المقدّس، ولا سيّما الإنجيل وأسفار العهد الجديد عند المسيحيّين والقرآن الكريم عند المسلمين، وأعمق ممّا يعي من لا يحكم في الأمور إلّا من خلال الاختبار العمليّ لبعض أحوال البُعد والنفور بين المسلمين والمسيحيّين.

ولا عجب في أن يكون الإسلام على هذا القرب من المسيحيّة، إذ إنّ النبيّ محمّداً كان له إمامٌ

(١) نور الشعوب، ١٦ – ١٧.
(٢) راجع الرسالة إلى الأفسسيّين، ٤: ١٣.
(٣) إنجيل يوحنّا، ١٦: ١٣.

غير يسـير بما جرى عليه الرهبان في مواطن نسـكهم والرعايا المسيحيّة في البقاع الممتدّة بين شماليّ الجزيرة العربيّة ومشارف فلسطين وسورية. فكان للقرآن الكريم ذكرٌ طيّب للرهبان في تعبّدهم.

ثمّ إنّ ما نقرأه في صفحات القرآن الكريم من قصص الأنبياء، ومن أنباء عن السيّد المسيح ومريم البتول أمّه، لدليل جليّ على أنّ الإسلام منذ مطلع دعوته كان يرى بين مقوّماته ومقوّمات المسيحيّة قرابة فريدة.

فالقيم المشـتركة بين الإسـلام والمسـيحيّة التي نحن بصددها كثيرة في أصـولها وفروعها. ولا يتّسع المجال هنا إلّا لذكر القليل القليل منها. فأكتفي بذكر مَثَلين يوضحان ما ألمحتُ إليه من القرب بين العناصر الدينيّة في الإسلام والمسيحيّة.

١. إنّ التسـابيح والأدعيـة التي نقرأها في القرآن الكـريم وفي الحديث النبويّ الشريف فيها من النصـوص ما هو قريب جدًّا ممّا نجده في تراث الصـلوات والأدعية المسيحيّة. وأورد هنا على سبيل المثال الصلاة التي علّمها السيّد المسيح لتلاميذه، وأُقابلها بما نُقل في الحديث الشريف.

– قال السـيّد المسـيح: «فأنتم صلّوا هكذا: أبانا الذي في السّـماوات، ليتقدّس اسمُكَ، ليأتِ ملكوتُكَ، لتكن مشيئتُكَ على الأرض كما في السماء. خبزَنَا كفافنا أعطنا اليوم. واترك لنا ما علينا كما تركنا نحن لمن لنا عليه، ولا تُدخلنا في التجربة، بل نجِّنا من الشرير»[١].

نقابل بين هذه الصـلاة التي يتلوها المسيحيّون بطريقة متواصلة والدعاء الذي دوّنه أبو داود في سـننه عن أبي الورداء، عن النبيّ محمّد: «ربّنا الله الذي في السـماء، تقدّس اسمُك، أمْرُكَ في السماء والأرض. كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض. اغفر لنا حَوبَنا وخطايانا، أنتَ ربّ الطّيبين. أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».

٢. إنّ أوضـح ما يَظهر القُرب في القيَم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة هو في مجال الإحسان، في القيَم الأخلاقيّة وما ينتج عنها من وصايا تأمر بالخير وتنهى عن الشرّ.

ووصـايا الله هـذه تأمر بعبـادة الله، واحترام اسـمه القدّوس، وإكرام الوالديـن، وتحريم القتل، والزنى، والسرقة، وشهادة الزور. وقد وردت بآيات متماثلة في التوراة والإنجيل والقرآن[٢].

اتّضـح ممّا جاء عرضـه في هذه العُجالة أنّ بين الإسلام والمسـيحيّة علاقات قُربى، وإن باعدت

(١) **إنجيل متّى**، ٦: ٩ – ١٣.
(٢) راجع **الخروج**، ٢٠: ٢ – ١٧؛ **مرقس**، ١٠: ١٨ – ١٩؛ **متّى**، ١٩: ١٨ – ١٩؛ **لوقا**، ١٨: ٢٠؛ سورة **الأنعام**: الآيتان ١٥١ – ١٥٢؛ سورة **الإسراء**: الآيتان ٢٢–٣٩.

بينهمـا بعض أيّام التاريخ. وقد يكون في حقبة التاريخ الحاضـرة من المهمّ جدًّا العكوف على تبيان مفصّل للعناصر المشـتركة بينهما في الدين والقيَم الأخلاقيّة والقواعد المسلكيّة. فمثل هذه الدراسة ومثل هذا العرض يمهّدان السبيل إلى فهم متبادل أدقّ وأوسع أو إلى تفاهم أكثر شمولاً. وما أحوجنا إلى ذلك في عصر نعيش فيه معًا حاضرًا مشتركًا على الصعيد العالميّ، ونسعى فيه معًا إلى بناء مستقبل مشـترك، نمارس فيه التضامن الشـامل ونعود فنكتشف صدق ما صرّح به المجمع الفاتيكاني الثاني: «تنظر الكنيسـة باحترام إلى المسـلمين الذي يعبدون الله الواحد الحيّ القيّوم الرحيم القادر على كلّ شيء، خالق السماء والأرض، الذي كلّم البشر».

ثـمّ نعود فنختبر ونتذوّق ما أكّده القرآن الكريم في سـورة المائدة: ﴿**ولتجـدْنَّ أقرَبَهُم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى...**﴾[1].

ب. سؤال أساسيّ: ما يقول الفكر المسيحيّ في صحّة بعثة النبيّ محمّد وإنزال القرآن؟

١. النواحي الإيجابيّة

إنّ الفكر المسيحيّ يقابل بالتقدير أنّ رسالة محمّد وتعاليم القرآن قد أدّت إلى تقريب الناس من خلاص الله. فإنّها قد قادت المشركين العرب إلى الإيمان بالله الواحد وأوضـحت لهم ولأتباع الإسـلام قيم الخير وقواعد الصـلاح. ثمّ إنّها تضـمّنت معرفة – ولو كانت غير كاملة في نظر المسيحيّين – للسيّد المسـيح. وأدّت بذلك كلّه إلى التغلّب على الكفر بالمسـيح. وهكذا فالفكر المسيحيّ يرى – ولو أنّ القرآن أنكر ألوهيّة يسـوع المسـيح ونعت عقيدة الثالوث الأقدس بأنّها شـبيهة بالإيمان بثلاثة آلهة – أنّ محمّدًا بفضل موقفه من يسوع المسيح وإيمانه به، يجب اعتباره على صلة به. وهذا يعني أنّه لم يرفض التوجّه إلى المسـيح ولم يفضّل الانفصـال والابتعاد عنه تماماً، بل هو لا يزال قائماً في نطاق معرفة واضحة للمسيح واعتراف صريح به.

وهكذا يمكن اعتباره شبيهاً بالأنبياء الذين جاؤوا قبل المسيح. هذا يعني بالنسبة إلى محمّد أنّه جاء وبشّر قبل القبول بيسـوع المسـيح كما يعترف به الإيمان المسـيحيّ، على مثال الأنبياء القدماء الذين أبلغوا رسالتهم وأشاروا إلى المسيح – وقادوا الناس إلى معرفته – وإن كانت هذه المعرفة ناقصة.

ثـمّ إنّه يمكن إدخال محمّد في عداد أولئك الأشـخاص الذين ذكرهـم العهد العتيق من الكتاب

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

المقدّس، وحدّث عن بعض كلامهم وأكّد أنّ هذا الكلام جاء بوحي من عند الله، وإن لم يُحسَبوا من عِداد الأنبياء المعترف بهم.

أو يمكــن اعتبــار محمّد من جماعة الأنبياء الأصــحّاء الذين هدَوا الناســ بأعمالهم وأقوالهم إلى الإيمان بالله والتوبة، دون أن يطالبوا بأنّهم يُبلغون الناس رسالة نهائيّة من عند الله، ودون أن يؤكّدوا أنّهم كانوا في تصرّفهم خالين من الخطإ والشطط.

هــذا كلّه يعني أنّه لا يجوز الحكم المجمل الخالي مــن التمييز العادل على محمّد بأنّه نبي كاذب. مــن جهة أخرى يجب التنبيه لأنّ النشــاط النبــويّ المحدّد أو الكلام الذي يقــود الناس إلى الحقيقة والخير، لا يدلّ من باب الضرورة على أنّ ذلك النشاط وذلك الكلام قد حصلا من جرّاء وحي إلهيٍّ صــحيح، أي إنّه، إن كان أحد يقول الحقّ ويدعو إلى الخير، فذلك لا يعني أنّه يعمل بســلطان مباشر من عند الله وبفعل وحي إلهيّ.

٢. موقف اللاهوت المسيحيّ

ولكنّ الإسلام ينظر إلى بعثة محمّد كدعوة إلى اعتبار الإسلام الدين الحقيقيّ النهائيّ، وبذلك إلى الخضوع له في الإيمان والعمل. هذا يعني بطريقة واضحة الدخول في الإسلام.

والســؤال هو: هل يستطيع المسيحيّون انطلاقًا من معايير إيمانهم الخاص أن يتقبّلوا هذه الدعوة ويتّبعوها؟

هنا تكوّن الحقائق الملزمة في الإيمان المســيحيّ القاعدة للبتّ في قضــيّة صــحّة بعثة محمّد النبويّة في نظر المسيحيّة. هذا يعني أنّ من ينادي برسالة تناقض صريحًا الحقائق الإيمانيّة الملزمة، لا يمكن أن يكون نبيّاً، يحقّ له أن يؤكّد سلطان رسالته الشاملة ويطالب بالخضوع لها في الإيمان والعمل.

هذه هي النقطة الحاســمة التي تفصل بين المســيحيّين والمسلمين في قرار إيمانهم. فإنّ ما جاء في القرآن الكريم عن يســوع المســيح (أي أنّ عيســى ليس ابن الله، بل رجلاً أنعم الله عليه ونبيّاً، وأنّه لا صــلة له بالخلاص كأن يكــون مخلّص العالم)، وما جاء عن الثالوث الأقدســ (الذي تعتبره أكثريّة المســلمين قــولاً بثلاثة آلهــة)، كلّ هذا يناقض مناقضــة صريحة الحقائق المركزيّــة الملزمة في العقيدة المسيحيّة.

ثمّ إنّ القرآن ينعت محمّدًا بأنّه «خاتم النبيّين»[١]، والإسلام يعتبر القرآن كلام الله النهائيّ والملزم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

عامّة، موجّهًا إلى الناس جميعًا. مثل هذه المقولة التي لا تتّفق وإيمان المسيحيّين بأنّ الله أوحى بذاته بنوع نهائيّ لا يمكن التفوّق عليه في يسوع المسيح.

هذه هي النقاط الأساسيّة التي تفصل بين العقيدة المسيحيّة وإيمان الإسلام. يستطيع المسيحيّين والمسلمون أن يهيبوا بصفات النبيّ محمّد الرفيعة من فطنة وحكمة، وحزم وغيرها. ويمكن المسيحيّون أن يعتبروا محمّدًا رجلاً نابغة تلفّظ هنا وهناك بكلمات نبوّية قرّبت الناس من الإيمان بالله وحثّتهم على ممارسة الخير.

ولكنّ القرار الأخير، قرار الإيمان الذي يعترف بأنّ محمّداً نبيّ الله ورسوله الذي بعثه لإبلاغ رسالة وحي سماويّ إلى جميع الناس، وأنّ القرآن من ثمّ وحيٌ منزلٌ من عند الله، وأنّ الإسلام دين الحقّ، هذا سيبقى الأمر الذي يفصل بين إيمان المسلمين وإيمان المسيحيّين إلى مدى لا يعلمه غير الله تعالى.

وينبغي للمسيحيّين وللمسلمين أن يصبروا على هذا الاختلاف وعلى أمثاله بين عقائدهم في جوّ من التفهّم والتصافي. وأن لا يعطّل ذلك استعدادهم للحوار النصوح والتعاون الخيّر.